الكلمات والمواعظ

تصبير النفس

فيما بقي من رمضان

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى الله وسَلَّم على عبدِه ورسوله مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بعدُ:

فإِنَّ مِن صفات النَّفس البَشَرِيَّة: أَنَّها تسأَمُ وتَمَلُّ، ويلحَقُها الفُتُور؛ فما من أحدٍ مِنَّا شَرَعَ في شيءٍ مِن منافعِه في الدُّنيا والآخرة، إِلَّا وَآنَسَ مِن نَفْسِه بعدَ ذلك كَلَلًا ومَلَلًا.

ومِن جملة ذلك: ما يجِدُه المرءُ في مواسم الطَّاعات؛ فإِنَّ النَّاس مع بدايةِ مَواسم الطَّاعات يُقْبِلون على الخير، فيستكْثِرون من الحسنات، وتَقْوى نفوسُهم عليها. فإذا تَمَادَى بِهم زمانُها يومًا بعد يوم، وليلةً بعد ليلةٍ، ضَعُفَت نفوسُهم، وكَسُلَت أجسادُهم.

كالَّذي يَجِدُه المرءُ في هذه الأَيَّامِ الأخيرة مِن رمضانَ؛ فإِنَّه - مع شَرَف قَدْرِها وجلالةِ فَضْلِها - يلحَقُ أحدَنا مَلَلٌ وسآمةٌ من العمل الَّذي مَضَى عليه في رمضانَ!

ومثلُ هذا ينبغي أَنْ يَتَصَدَّى له المرءُ بأمورٍ:

❁ **منها: أن يعلمَ أَنَّ الباقي مِن رَمضانَ هو أيَّامٌ قلائِلُ في أَيَّامٍ معدوداتٍ؛**

فإنَّ الله لَمَّا ذَكَر فريضة الصِّيام علينا في رمضانَ قال: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:١٨٤]، وهذه الصِّيغة تُشْعِر بِقِلَّتها، وأَنَّها أيَّامٌ يسيرةٌ لا تَطُول.

فإذا كانت تلك الأيَّام اليسيرةُ - الَّتي هي تِسعةٌ وعشرون يومًا، أو ثلاثون يومًا - لم يَبْقَ منها إِلَّا أيَّامٌ قلائلُ (خمسةُ أيَّامٍ أو أربعةٌ) = فينبغي أن يجتهدَ المرء في تَدَارُكِ هذه الأيَّامِ القلائل، وفي تَصْبِير نفسِه على الأعمال الصَّالحات، والاستكثارِ من الحسنات.

فتلك الأيَّام الَّتي مضتْ أكثرُ وأكثرُ ممَّا بَقِي؛ فما بَقِي إِلَّا قليلٌ؛ فينبغي أن تجتهدَ في هذا القليل الَّذي هو نَزْرٌ مِن يَسِيرٍ.

فيكونُ هذا أعظمَ فِي تَقْوِية النَّفس على الاستمرارِ في العمل، بأَنْ تعلمَ أَنَّ هذه أيَّامٌ قلائل باقياتٌ مِن أيَّامٍ معدوداتٍ ذاهِباتٍ.

❁ **ومنها: أَنْ يعلمَ العبدُ أَنَّ مَا وُعِدْنا عليه في رمضانَ مِن الجزاء الوفير من المغفرة** - في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١). وفي قوله: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢). وفي قوله: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ**

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٨، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩)، ومسلمٌ (٧٥٩)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ذَنْبِهِ»[(١)] - جزاءٌ عظيمٌ، وأَجْرٌ وَفِيرٌ؛ فينبغي أَنْ يُصَبِّرَ العبدُ نفسَه رجاءَ إصابة هذا الأجر العظيم.

وأنَّ هذا الأجرَ لم تزَلْ أعمالُه باقيةٌ:

- فقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ**» لا ينتهي إِلَّا بالفراغ مِن شهر الصِّيام.
- وكذا قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ**»؛ فإِنَّه لَا يُفْرَغ من قيام رمضانَ إِلَّا بِخَتْمِ رمضانَ.
- وكذلك قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ**»؛ فإِنَّه لا يَدْري العبدُ، فلرُبَّما كانتْ ليلةُ القَدْر هي آخِر ليلةٍ مِن رمضانَ.

فيَحْمِلُ العبد عَلَى نَفْسِه، ويجتهدُ في تكميلِ هذه الأعمالِ الَّتي رُتِّبَت عليها المغفرةُ؛ لأَنَّه لم يَفْرَغْ منها بَعْدُ.

فإذا ذكرتَ أَنَّ مغفرةَ اللهِ لكَ لا تَحصُل إِلَّا فيها، وأَنَّه لم يَبْقَ منها إِلَّا شيءٌ يسيرٌ قليلٌ جِدًّا = قَوَّى ذلك نَفْسَك على الاستكثارِ مِن العمل.

❁ **ومنها**: أَنْ يعلَمَ العبدُ أَنَّه لو قُدِّر له ما قُدِّر مِن العمل، فإِنَّه مَأمورٌ بأَنْ يعملَ لله كثيرًا؛ شُكْرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقومُ اللَّيلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قدمَاه - أي تَتَشَقَّق -، فكانت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول له: يا رسولَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٥، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلمٌ (٧٦٠)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله؛ أتصنَعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِك وما تَأَخَّر؟! فيقول: «**يَا عَائِشَةُ؛ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»(١).

فَمِنْ شُكْرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنْ يُصَبِّرَ العبدُ نفسَه في هذه الأيَّام القليلة الباقية على الاستكثار من الأعمال الصَّالحة، وأَنْ يعرِفَ أنَّه مهمَا زَادَ للهِ من العمل، فَإِنَّ شُكْرَ اللهِ اللَّازمَ لنا أعظمُ وأعظمُ.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء]، ثُمَّ قالَ عن هذه الذُّرِّيَّة: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]؛ يعني أَنَّ القائِمين بما ينبغي لله عَزَّوَجَلَّ من الشُّكر قليلٌ.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]؛ فحقيقةُ كَوْنِك عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ: أَنْ تكون شاكرًا.

فَمِنْ شُكْرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنْ تُصَبِّرَ نفسَكَ على العمل فيما بَقِيَ من رمضانَ.

فإذا ذَكَرْتَ هذا، وما يَلْزَمُك من الشُّكر = قوَّى هذا نفسَك على أَنْ تجتهدَ في هذه الأيَّام الفاضلة الباقية.

❁ **ومنها**: أَنْ ينظرَ العبدُ في حقيقةِ ما يعرِفه مِنْ أَجَلِه، ومتى ينتهي؛ فإنَّ كُلَّ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٨٣٧)، ومسلمٌ (٢٨٢٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

واحدٍ مِنَّا قد عُمِّيَ عنه أَجَلُه؛ فلا يَدْري متى تأتيه مَنِيَّتُه، وهو إِنْ فُسِحَ له في أَجَلِه وَوُسِّع له في قُدْرتِه فأدركَ رمضانَ هذا، فإنَّه لا يدري أَيأْتِي رمضانُ القادم وهو في الأحياء أَمْ لا!

وكم مِن أُناسٍ كانوا معنا وماتوا قبلَ رمضانَ بليلةٍ وليلتين! بل في رمضانَ نفسِه ماتَ أُناسٌ كثيرٌ لم يُكتَب لهم تمامُ الشَّهر.

وأنت وقد فَسَحَ الله لك في أَجَلِك، ونَسَأَ في عُمرك؛ لا تدري أتستقبِلُ رمضانَ مَرَّةً أخرى أَمْ لا!

فإذا كنت في رمضانَ الآنَ، ولم يَبْقَ منه إِلَّا أَيَّامٌ قلائلُ، **فإنَّ مِن الدِّين الكاملِ، والعقلِ الوافِرِ**: أَنْ تغتنمَ ما بَقِيَ مِن رمضانَ هذا؛ رجاءَ أَنْ يَعْظُمَ أَجْرُك، ويكثُرَ ما تَكْنِزُه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِن الحسناتِ.

❁ **ومنها**: أَنْ ينظُرَ العبد في عاقبةِ التَّعب والجُهد والمَشَقَّة، وأَنَّ الإنسان مهما آنَسَ في نفسِه تَعَبًا وجُهدًا ومَشَقَّةً؛ فَلْيَذْكُرْ ما يكُون على النَّاس من المَشَّقة يوم القيامة، وأَنَّ مَنْ أَتْعَبَ نفسَه لله في الدُّنيا؛ أَرَاحه الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.

فإِنَّ الشَّمسَ يوم القيامة تَدْنُو مِن الخَلْق حَتَّى تكونَ كالمِيل - أي قريبةً منهم -، ثُمَّ يُلْجِمُهُم العَرَقُ - أي يشتَدُّ بِهم الحَرُّ -، حَتَّى يركَبَ أحدَهم العَرَقُ، فيُلْجَمُون بالعَرَقِ على أَقْدارٍ مُتفَاوِتَةٍ؛ لا يَقدِرُ أحدُهم أَنْ يَتَخَلَّصَ من عَرَقِه؛ بل قَدْ رَكِبَه عَرَقُه وَعَلاه حَتَّى صارَ بِمَنْزِلةِ ما نَرَاه مِن الثَّلج الَّذي يُحِيط

بالشَّيء! فيكون يومًا شديدًا عَسيرًا. وقد وَصَف الله عَزَّوَجَلَّ يومَ القيامةِ بأَنَّه يومٌ عَسِيرٌ، ووصفه بأنَّه يومٌ عَسِرٌ.

فمِمَّا يُخَفِّف عليك: أَنْ تعلمَ أَنَّك إذا تعبتَ هاهنا، فسَيُخلِف الله عَزَّوَجَلَّ عليك تَعَبك بالرَّاحة يوم القيامة.

والعاقلُ يعرِفُ مِنْ نَفسِهِ أَنَّه إذا كان سَيَرْصُدُ شَيئًا لشيءٍ أفضلَ، فإِنَّ الحِكمةَ تقتضي أَنْ يجتهدَ فيما هو فيه الآنَ لِينَالَ الأفضلَ.

فينبغي على أحَدِنا: أَنْ يُثَبِّت نفسَه في العملِ، حَتَّى يتَذَكَّرَ الجزاء عليه في الآخرة.

وأَنَّ مَنْ أَتْعَبَ نفسَه لله، أَكْرَمه الله عَزَّوَجَلَّ بالأُنْسِ والفَرَح والخير في يوم القيامة.

فهذه أمورٌ خمسةٌ؛ ينبغي أَنْ يتذكَّرها أحدُنا، وأن يجعلَها في قلبِه، وأَنْ يُعِيدَ النَّظَرَ والفِكْرَ فيهَا؛ كي تُثَبِّته على ما بَقِي مِن العمل الصَّالح في هذه الأيَّام الخمسة - أو الأربعة - الباقيةِ؛ فيكون ذلك عَوْنًا له على أَنْ يجتهدَ في عمله، وأَنْ يُقَوِّي عزيمتَه، وأنْ يُثَبِّت نفسَه، وأَنْ يُثَبِّت مَنْ حولَه مِن زَوْجٍ وأهلٍ وجِيرانٍ على الأعمال الصَّالحة، وأَنَّ هذا مَوسمٌ عَظِيمٌ، وشَهْرٌ مبارَكٌ، ومغفرةٌ مِنَ الله ينبغي أَنْ يغتَنِمَها الإنسانُ وأَلَّا يُفَرِّطَ فيها؛ فإِنَّ التَّفريطَ في الشَّيء لا ينفع معه النَّدمُ.

أسأل اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَنْ يُعِينَنا على فِعْل الخيرات، وأَنْ يُبارك لنا في إتيان الحسنات، وأَنْ يُكفِّر ما أَتَيْناه مِن السَّيِّئات، وأَنْ يَتولَّانا برحمته، ويتَغَمَّدنا بِكَرامَتِه، وأَن يُهَيِّئ لنا مِن أمرِنا رَشَدًا.

اللَّهمَّ كما بَلَّغْتَنا أَوَّلَ هذا الشَّهرِ فَبَلِّغْنا خِتامَه.

اللَّهمَّ اختِمْ لنا فيه بالفوز بالجَنَّة، والنَّجاةِ من النَّار.

والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

أُلْقِيَتْ عصر السَّبت السَّادس والعشرين مِنْ رمضانَ
سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ والأَلِفِ
بِمَسْجِدِ مصعبِ بنِ عُمَيْر بِحَيِّ الجَزيرة
بِمَدِينَةِ الرِّيَاضِ حَفِظَهَا الله دَارًا لِلْإِسْلَامِ والسُّنَّةِ